

ولقد نشرنا في هذه المقالة رسم قطع حجر سماوي نزل في بوتوسوره في الهند في ١٢ مايو من عام ١٨٦١ وأكثره من الحديد والنيكل كما يرى القارىء . ولكن من اي جرم سماوي انفصل هذا الحجر . وهل كانت امه ماهولة او غير ماهولة . واذا كانت ماهولة فهل كان بشرها ارفى من بشر الارض او اذى اخلاقاً . وهل كان عندهم سجون تعذب الناس وثكنات عسكرية تجمع الشعب لتحمله السلاح وتعلمه قتل قريبه تاركة الحقول والادوية بلا زرع ولا ضرع . ورجال تسد ابواب الحياة في وجوههم فيجعلون انفسهم فوضويين . ونساء لا تعني الهيئة الاجتماعية بهنّ . واولادهن فيبعن شرفهن ليا كن به خبزاً . ورؤساء شهرهن لا همّ لهم غير انفسهم . ومروسون ضعفاء يساقون بالسياط كالانعام السائمة . وكل شيء فيها صغير وضعيع في نظر اهلها الا الذهب والقوة المادية — هل كان فيها شيء من كل ذلك — الله اعلم

صفحة الشعر

ديوان

* حافظ افندي ابراهيم *

اذا كان احمد بك شوقي متنبى مصر فان حافظ افندي ابراهيم ابو تمامها . واذا قابلت بين ما نشرناه من مختارات شوقي بك في الجزء الثاني من السنة الاولى ومختارات حافظ افندي التي ننشرها الآن ورأيت رقة الاول وحذره في شعره ووثبه فيه حيناً بعد حين الى اعلى قم الفكر ورأيت فصاحة كلام الثاني ومتانته واندفاعه بأسلوب عسكري حتى قال فيه واصف مجيد انه يكتب بحسامه لا بقلمه — علمت صحة التشبيه الذي تقدم . فالاول شاعر الحضارة والثاني شاعر البداوة وكل منهما سباق في فنه

ولقد نشر جناب حافظ افندي ابراهيم ديوانه وقدم له مقدمة رائعة عرف به الشعر تعريفاً مبتكراً . ومما قاله فيها ان « خير الشعر ما سبق ديبه في النفس ديب الغناء ثم سبج بهافي عالم الخيال فاراها جميلاً وهو يرنو الى بشينة ويقول

وكم قلت في شعري لكم وصابتي احاديث شوق شرحهن بطول
فان لم يكن قولي رضاك فعلي نسيم الصبا يا بن كيف اقول

والجنون وهو يضرع الى ليلاه وينشد
 عليّ اليّة ان كنت ادري اينقص حبّ ليلى ام يزيد
 واراها عبد بني عبس وهو يسابق المنية لاختطاف الارواح وينادي
 ليّ النفوس وللطير اللحوم ولا وحش العظام وللخيالة السلب
 والشريف الرضي متربعا في ناديه يطالع في صحيفة انسابه جريدة احسابه وهو يشتم
 من لحيته ريح الخلافة ويحاطب صاحبها بقوله
 مهلاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرّق
 وشيخ المعرة وابا الطيب بجانبه يستصبح كلاهما بنور صاحبه واسمعهما الاول وهو يقول
 ويدلّني ان المات فضيلة كون الطريق اليه غير ميسر
 والثاني وهو ينشد

الف هذا الهواء اوقع في الازفس ان الحمام مرّ المذاق
 والاسى لا يكون بعد الفراق
 وهذا الديوان مطبوع طبعاً منقثاً في مطبعة التمدن في العاصمة على ورق جيد وقد
 شرحه جناب محمد افندي هلال ابراهيم شرحاً مفيداً لا يحلو من بعض التلكات . منها ان
 صاحب الديوان قال في باب الخمريات
 اطلق الشمس من غياهب هذا الدنّ واملأ من ذلك النور كاسي
 وأذن الصبح ان يلوح لعبني من سناها فذاك وقت التحسي
 واسقنا يا غلام حتى ترانا لا نطيق الكلام الا بهمس
 فقال الشارح في شرحه « سئل بعضهم اي بيت اذا سمعته علمت ان قائله ملك
 قال قوله »

اسقني من سلاف ريق سامي واسق هذا الندم كاساً عقاراً
 ولعمري لو سمع هذا البعض تلك الاوامر المتتالية لما شك في انها صادرة عن خليفة
 الخلفاء او سلطان السلاطين فلا كسري في ابوانه ولا الرشيد في جلال ملكه وسعة سلطانه
 ولا الفاتح وقد سقط ملك الروم في قبضته ولا نابوليون وقد طأطأت ملوك الغرب الهام
 لسلطانه وارتمت اركان الدنيا من رهبته باشد في الامر اشتطاطاً ولا اكثر في الحكم افراطاً
 من شاعرنا هذا »

وقال صاحب الديوان في الخمر ايضاً

مشمولة لولا النقي لعجبت من تحريمها والذنب للقدماء
 قربوا الصلاة وهم سكارى بعدما نزل الكتاب بحكمة وجلاء
 قال الشارح « قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى
 تعلموا ما تقولون » فلما عاد اليها بعضهم سكراناً نزل قوله تعالى « انما يريد الشيطان ان
 يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل
 انتم منتهون » فكان بذلك تحريمها »

وقال صاحب الديوان

يا نديمي بالله قل لي لماذا هذه الخندريس تدعى برجس
 هي نفس زكية وابوها غرسه في الجنان اكرم غرس
 فقال الشارح « ناسف ويحق لنا الاسف ان يكون بين اقوال صديقنا هذا الباب
 الذي كثيراً ما حدا به الى محاكاة ابي نواس في نكاته وخلاعاته الى حد ربما ظنه من لم
 يعرفه من زيف العقيدة والازدراء باحكام الدين في شيء لا يغتفر »

وقال صاحب الديوان

اذكروني عند كاسات الطلا انني كنت امام المدمنين
 رب ليل قد تعاهدنا على ما تعاهدنا وكنا فاعلين
 فقضيناه ولم نخفل بما سطر ايدي الكرام الكاتبين
 فقال الشارح في ذيله « لقد سئمت النفس وملّ اليراع من الاشارة الى مثل هذا
 الهزل الذي نامل ان ينتهي بانتهاء هذا الباب »

اما مختارات هذا الديوان فمنها في مدح الجناب الخديوي المعظم

لم يبق احمد من قول احاوله في مدح ذاتك فاعذرني ولا تعب
 فلست ممن سميت بالشعر همتهم الى الملوك ولا ذاك الفتي العربي
 لكن عيدك يا عباس انطقني كالبدر اطلق صوت البابل الطرب
 يا من توهم ان الشعر اعذبه في الذوق اكذبه ازريت بالادب
 عذب القريض فريض بات يعصمه ذكر ابن توفيق عن لغو وعن كذب

وجعلت لجنة الاحتفال بعيد الجلوس الخديوي المعظم جائزة للسابق من الشعراء
 فجاءتها قصائد كثيرة منها قصيدة لصاحب الديوان جاء في ختامها

قل للاولى جعلوا للشعر جائزة فيم الخلاف ألم يرشدكم الله

اني فتحت لها صدرًا تليق به ان لم تحلوهُ فالرحمن حلّاه
لم اخش من احد في الشعر يسبقني الا فتى ماله في السبق الآه
ذاك الذي حكمت فينا يراعتة واكرم الله والعباس مثواه
وفي مدح الجناب الخديوي ايضاً

وانشد اشعاري وان قال حاسدي نعم شاعر لكننه غير مكثار
فخشي من الاشعار بيت ازينه بذكرك يا عباس في رفع مقداري
وقال من قصيدة في وصف نادي صاحب النخيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي
الديار المصرية

حلت داراً بها تلى مناقبه بياها ازدحمت للناس آمال
رايت فيها بساطاً جلّ ناصحه عليه فاروق هذا الوقت يختال
وقال في الغزل من قصيدة يمدح بها محمود باشا سامي البارودي
نعمدت قتلي في الهوى ونعمدا فما اثمت عيني ولا لحظه اعتدى
كلانا له عذرٌ فعذري شيبتي وعذرك اني هجت سيفاً مجرّداً
هو بنا فما هذا كما هان غيرنا ولكننا زدنا مع الحب سوّداً
ومنها في المدح

اعرفني لمحبك البراع الذي به تحطّ وافرضني القريض المسدّداً
ومر كل معنى فارسي بطاعتي وكل نفور منه ان يتودّداً
فاربو على ذاك الفخور بقوله (اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشداً)
وقال في مدح المرحوم سليمان باشا اباطه

سليمان ذكّرت الزمان واهله بعز سليمان واقبال دنياه
اذا سرت يوماً حذر النمل بعضه مخافة جيش من مواليك يعشاه
وان كنت في روض تغنت طيوره وصاحت على الافنان بحرسك الله
وكان ابن داود له الریح خادم وتخدمك الايام والسعد والجاه
وقال في شكوى الزمان

فان تكن نسبتي للشرق مانعي حظاً فواهاً لمجد الترك والعرب
متى ارى النيل لا تحلو موارده لغير مرتهب لله مرتقب
اذا نطقت فقاع السجن متكأي وان سكت فان النفس لم تطب

أيشكي الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشي على أرض من الذهب
 يا آل عثمان ما هذا الجفاء لنا ونحن في الله اخوان وفي الكتب
 تركتمونا لا قوام تحالفنا ٠٠٠٠ الخ

ومن هذا يظهر ان الشاعر جندي كل ما بقلبه على طرف لسانه . ومن ذلك قوله
 في مكان آخر

أرى مصر والسودان والهند واحداً بها اللورد والفيكونت يستبقان
 واكبر ظني ان يوم جلائهم ويوم نشور الخلق مقترنان
 وقوله ايضاً مشبهاً طول الليل بالاحتلال في مصر
 يأساهم النجم هل للصبح من خبر اني اراك على شيء من الضجر
 اظن ليالك مذ طال المقام به كالقوم في مصر لا ينوي على سفر
 اما شوقي بك فانه يجتنب في شعره التصريح الى هذا الحد وانما يقول مثلاً في
 مثل هذا المقام

عباس انك للبلاد ولم يعد في مصر غيرك من يقول بلادي
 وذلك لان مقامه من سمو الامير يوجب عليه هذا الحذر
 وقال في وصف الشعر

ضعت بين النهى وبين الخيال يا حكيم النفوس يا ابن المعالي
 حملك العناء من حب ابلى وسلمى ووقفه الاطلال
 وبكاء على عزيز نولى ورسوم راحت بهن الليالي
 واذا ما سموا بقدرك يوماً اسكنوك الرحال فوق الجمال
 آن يا شعر ان تفك قيوداً قيدتنا بها دعاة المحال
 فارفعوا هذه الكمام عنا ودعونا نشم ريح الشمال
 ومن قوله في بعض الجرائد اليومية ولا نظنه قاله فيها كلها

جرائد ما خط حرف بها لغير تفريق وتضليل
 يحلوها الكذب لاربابها كانوا اول ابريل

والغريب بعد هذا ان جميع الجرائد اليومية قرظت ديوان الحافظ احسن تقرظ
 فكان لسان حالها عند التقريظ كان يقول : كل شيء من الشاعر الظريف مقبول -
 وقال يخاطب ثوبه ويذكر اكرام الناس لاصحاب الطيالس وفيه سهام حادة

ياردائي جعلتني عند قومي
ان قومي تروفيهم جدّة الثو
قيمة المرء عندهم بين ثوب
قعد الفضل بي وقت بعزي

وقال في وصف الشمس

نظر ابراهيم فيها نظرة
قال ذا ربي فلما افلت
ودعا القوم الى خالقها
ومنها يريد الشمس

صدقوا لكمهم ما علموا
الله لم ينزه ذاته
انما الشمس وما في آيها
حكمة بالغة قد مثلت

وله في مخاطبة الثرى على طريقة ابي العلاء ايات في غاية الجودة ومنها

ايهذا الثرى الى م التماذي
انت تروى من مدمع كل يوم
قد جعلت الانام زادك في الده
فالتس بعده المجرة وردا
لست ادعوك بالتراب ولكن
بحدود الحسان بالاعين النج
لم تلدنا حواء الا لنشقى
سلمتنا الى صروف زمان

هذا ما اكتفينا بنقته من هذا الديوان الذي نشر فضل صاحبه بين الفضلاء والادباء
كما نشر حسامه فضله بين الاقران . ولذلك فاننا نرى احسن ثناء يوجه الى حافظ افندي
ابراهيم تلقيبه بصاحب السيف والقلم .